هَلْ جَاءَ سَاحِرُ أُسْوَانَ[1] الْأَكْبَرُ أَيْضاً ؟
نَعَمْ وَسَاحِرُ الْأُقْصُرِ[2] وَسَاحِرُ الْجِيزَةِ[3] الشَّهِيرُ !
مَاذَا تَرَى يَا أَخِي مَنْ يَغْلِبُ ؟
إِنَّ مِصْرَ قَدْ أَلْقَتْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا تَرَى يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ !
وَكَيْفَ يَغْلِبُهُمْ مُوسَى وَأَخُوهُ وَأَيْنَ تَعَلَّمَا السِّحْرَ ؟
نَشَأَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ وَكَانَ فِي مَدْيَنَ سِنِينَ .
فَأَيْنَ تَعَلَّمَا السِّحْرَ ؟
أَفِي مِصْرَ ؟ لَا !

(١ – ٢ – ٣) مدن مصر القديمة .

أَفي مَدْيَنَ ؟ مَا سَمِعْنَا أَنَّ هُنَالِكَ فَنًّا !

وَجَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَهُمْ بَينَ يَأْسٍ وَرَجَاءٍ وَلَعَلَّ الْيَأْسَ أَغْلَبُ، اللهُ يَرْحَمُ ابْنَ عِمْرَانَ! اللهُ يَنْصُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ !

وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَأَقْبَلُوا بِخُيَلَائِهِمْ وَفَخْرِهِمْ

وَخَرَجُوا في مَلَابِسَ مُلَوَّنَةٍ وَخَرَجُوا يَحْمِلُونَ الْعِصِيَّ وَالْحِبَالَ .

وَخَرَجُوا يَضْحَكُونَ وَيَمْرَحُونَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْفَنِّ !

الْيَوْمَ يَرَى الْمَلِكُ صَنِيعَنَا، الْيَوْمَ يَرَى الْقَوْمُ فَضْلَنَا !

« فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ » .

« قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ » .

وَهٰذِهِ هِيَ جَائِزَةُ الْمُلُوكِ! وَهٰذَا عَطَاءُ الْمُلُوكِ !

وَهٰذَا الَّذِي يُخْدَعُ بِهِ الرِّجَالُ ! وَهٰذَا الَّذِي يُصَادُ بِهِ الْأَبْطَالُ !

وَفَرِحَ السَّحَرَةُ بِمَوَاعِيدِ فِرْعَوْنَ .

٢٤ — بين الحق والباطل

« قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ » .

« فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ » .

وَرَأَى النَّاسُ عَجَباً ، حَيَّاتٌ تَسْعَى في المَيْدانِ ، وَدُهِشَ الناسُ وتَراجَعوا إلى الخَلْفِ

وهَتَفُوا: حَيَّاتٌ ! حَيَّاتٌ !

وَصَاحَتِ النِّساءُ وبَكَتِ الأَطْفالُ وعَلَا الهُتَافُ في المَيْدَانِ: حَيَّاتٌ ! حَيَّاتٌ !

وَرَأَى مُوسَىٰ مَا رَأَىٰ النَّاسُ وتَعَجَّبَ « فَإِذَا حِبَالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَى » .

وَخَطَرَ في قَلْبِ مُوسَىٰ خَاطِرُ خَوْفٍ!

وَلِمَاذَا لَا يَخَافُ مُوسَىٰ ؟

هٰذَا يَوْمُ الرِّهَانِ! وَعِنْدَ الامْتِحَانِ يُكْرَمُ الرَّجُلُ أَوْ يُهَانُ !

وَإِذَا غَلَبَ السَّحَرَةُ - لَا قَدَّرَ اللهُ ذٰلِكَ .

وَإِذَا غُلِبَ مُوسَىٰ - لا سَمَحَ اللهُ بِذٰلِكَ .

فَمَاذَا يَكُونُ ؟ العِيَاذُ بِاللهِ ! !

وَلَيْسَ غَلَبُ مُوسٰى غَلَبَ رَجُلٍ ، بَلْ
هُوَ غَلَبُ دِينٍ أَمَامَ مَلِكٍ .

بَلْ هُوَ غَلَبُ حَقٍّ أَمَامَ بَاطِلٍ .
لَا قَدَّرَ اللهُ ذٰلِكَ! لا سَمَحَ اللهُ بِذٰلِكَ !
وَلٰكِنَّ اللهَ شَجَّعَهُ وَقَالَ:
«لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» .

«وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا
إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
حَيْثُ أَتَى»
«قَالَ مُوسٰى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ
سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ *
وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ».
«وَأَلْقَى مُوسٰى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ

مَا يَأْفِكُونَ » .

« فوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

ودهِش السَّحَرَةُ وَبُهِتُوا .

أَيُّ شَيْءٍ هٰذَا؟ إِنَّا نَعْرِفُ السِّحْرَ وَأَصْلَهُ

وَإِنَّا نَعْرِفُ السِّحْرَ وَأَنْوَاعَهُ .

وَنَحْنُ أَسَاتِذَةُ الْفَنِّ! وَنَحْنُ أَئِمَّةُ الْفَنِّ !

هٰذَا لَيْسَ مِنَ السِّحْرِ! هٰذَا لَيس مِنَ السِّحْرِ !

لَوْ كَانَ مِنَ السِّحْرِ لَضَرَبْنَا السِّحْرَ بِالسِّحْرِ وَقرَعْنَا الْفَنَّ بِالْفَنِّ !

وَلٰكِنِ اضْمَحَلَّ فَنُّنَا أَمَامَ هٰذَا، وَذَابَ كَمَا يَذُوبُ النَّدَى أَمَامَ الشَّمْسِ .

فَمِنْ أَيْنَ هٰذَا ؟ هٰذَا مِنَ اللهِ !

اقْتَنَعَ السَّحَرَةُ بِأَنَّ مُوسٰى نَبِيٌّ وَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ مَنَحَهُ مُعْجِزَةً فَصَرَخُوا وَهَتَفُوا:

«آمَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسٰى».

«وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسٰى وَهٰرُونَ».

٢٥ — وعيد فرعون

وَجُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ !

وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ.

مِسْكِينٌ فِرْعَوْنُ وَقَعَ مَا لَمْ يَكُنْ يَرْجُوهُ !

إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَ مُوسٰى بِالسَّحَرَةِ فَأَصْبَحَ السَّحَرَةُ جُنْدَ مُوسٰى

إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنْ مُوسٰى فَجَاءَ

بِالسَّحَرَةِ فَإِذَا بِهِمْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ !

إِنَّ سِهَامَهُ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى الْأَلْسِنَةِ .

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئاً أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَقَالَ فِي كِبْرٍ وَجَبَرُوتٍ .

« آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ » ؟!

وَرَمَاهُمْ فِرْعَوْنُ بِسَهْمٍ مِنْ سِهَامِ الْمُلُوكِ فَقَالَ :

« إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ » !

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَانٍ فَقَالَ :

« إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » ! !

وَرَمَاهُمْ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ مَسْمُومٍ هُوَ السَّهْمُ الْأَخِيرُ فِي كِنَانَةِ الْمُلُوكِ .

« لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ » .

وَتَلَقَّى الْمُؤْمِنُونَ السِّهَامَ كُلَّهَا بِجُنَّةِ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ وَقَالُوا :

« لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » .

« إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وَقَالُوا فِي إِيمَانٍ وَحَمَاسَةٍ :

« إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا

أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَذٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى » .

سفاهة فرعون

وَاهْتَمَّ فِرْعَوْنُ بِأَمْرِ مُوسى كَثِيراً وَطَارَ نَوْمُهُ .

وَبَقِيَ فِرعَوْنُ لا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلا شَرَابٌ .

وَأَثَارَ غَضَبَهُ الآخَرُونَ أَيْضاً وَقَالُوا :

« أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا في الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ » ؟!

وَغَضِبَ فِرْعَوْنُ وَثَارَ .

« قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ » .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَصُدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَهْلَ مِصْرَ عَنْ مُوسٰى بِكُلِّ حِيلَةٍ .

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ » .

« أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ * وَلا يَكَادُ يُبِينُ » !

وَقَالَ فِرْعَوْنُ فِي رَزَانَةٍ وَحِلْمٍ :

« يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي » !!

كَأَنَّهُ فَتَّشَ كَثِيراً وَفَكَّرَ كَثِيراً وَنَصَحَ لِقَوْمِهِ.

وَقَالَ فِي سَفَاهَةٍ وَجُنُونٍ :

« فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلٰهِ مُوسٰى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وَأَوْقَدَ هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ، وَبَنَى صَرْحا وَلٰكِنْ إِلَى أَيْنَ ؟ تَعِبَ هَامَانُ وَتَعِبَ الْبَنَّاؤُونَ وَنَفِدَ الطِّينُ وَالآجُرُّ .

وَلا يَزَالُ فِرْعَوْنُ بَعِيداً لَمْ يَصِلْ إِلى السَّحَابِ فَضْلاً عَنِ الْقَمَرِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلىٰ الْقَمَرِ فَضْلاً عَنِ الشَّمْسِ .

وَلَمْ يَصِلْ إِلى الشَّمْسِ فَضْلاً عَنِ الْكَوا كِبِ.
وَلَمْ يَصِلْ إِلى الْكَوا كِبِ فَضْلاً عَنِ السَّماءِ.
وَخَابَ فِرْعَوْنُ وَخَجِلَ وَعَجَزَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ .

مِسْكِينٌ أَلا يَدْرِي أَنَّ اللّهَ « خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلٰى » .

« لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرى » .

« وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ » .

وَلَمْ يَجِدْ فِرْعَوْنُ حِيلَةً إِلاَّ أَنْ يَقْتُلَ مُوسٰى وَحُجَّتُهُ أَنَّ مُوسٰى يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ .

« وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسٰى وَلْيَدْعُ

رَبَّهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — مؤمن آل فرعون

وَلَمَّا أَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَىٰ قَامَ رَجُلٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ وَقَالَ :

« أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَٰتِ مِنْ رَبِّكُمْ » .

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ:

لِمَاذَا تَتَعَرَّضُونَ لِمُوسَىٰ وَلِمَاذَا تُؤْذُونَهُ ؟

إِذَا لَمْ تُؤمِنُوا بِهِ فَاتْرُكُوهُ وَشَأْنَهُ وَخَلُّوا سَبِيلَهُ .

« إِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ » .

وَإِذَا آذَيْتُمُوهُ وَوَقَعْتُمْ بِهِ وَكَانَ نَبِيًّا فَلَكُمْ الْوَيْلُ .

« وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ » .

وَيَا إِخْوَانِي لا تَغْتَرُّوا بِمُلْكِكُمْ، وَلا تَغْتَرُّوا بِقُوَّتِكُمْ وَجُنُودِكُمْ .

« يَا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا ؟! »

وَكَانَ جَوَابُ فِرْعَوْنَ أَنْ قَالَ:

« مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ » .

وَأَرَادَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنْ يُحَذِّرَ قَوْمَهُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ وَمَصِيرَ الظَّالِمِينَ فَقَالَ :

«وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ» .

وَخَوَّفَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَمَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟

«يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» .

«الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ» .

«وَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ» .

يَوْمَ يُنَادِي الْمَلِكُ الْجَبَّارُ: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» .

يَوْمَ يَفْزَعُ النَّاسُ وَيَصْرُخُونَ وَيُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَوْمَ يُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ .

فَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ :

« وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » .

وَقَالَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: إِنَّ اللهَ قَدْ وَهَبَكُمْ نِعْمَةً وَلٰكِنَّكُمْ مَا عَرَفْتُمْ فَضْلَهَا وَمَا قَدَرْتُمُوها حَقَّ قَدْرِهَا حَتَّى إِذَا ذَهَبَتْ تَأَسَّفْتُمْ عَلَيْهَا .

ذٰلِكَ يُوسُفُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ وَسَلامُهُ الَّذِي مَا عَرَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَقْدِرُوهُ قَدْرَهُ .

وَلٰكِنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُلْتُمْ: سُبْحَانَ اللهِ نَبِيٌّ وَلا

كيُوسُفَ .

مَلِكٌ وَلا كيُوسُفَ! رَجُلٌ وَلا كيُوسُفَ !

وَمَنْ لَنَا بِنَبِيٍّ بَعْدَهُ؟! مَنْ لَنَا بِمِثْلِهِ ؟!

أَبَداً ! لَنْ يَأْتِيَ مِثْلُهُ !

« وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً » .

كَذَٰلِكَ تَفْعَلُونَ بَعْدَ هَٰذَا النَّبِيِّ أَيْضاً! وَتَنْدَمُونَ !

٢ — نصيحة الرجل

وَوَعَظَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ وَبَذَلَ لَهُمْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ .

« وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ » .

وَعَلِمَ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ أَنَّ الْقَوْمَ فِي سَكْرَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ مَغْرُورٌ بِمُلْكِهِ وَقُوَّتِهِ .

وَلٰكِنَّ هٰذِهِ الْحَيَاةَ حُلْمٌ مِنَ الْأَحْلَامِ وَأَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ .

وَعَرَفَ الرَّجُلُ مَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ مِنِ اتِّبَاعِ مُوسٰى ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ سُكَارَى بِسَكْرَةِ الدُّنْيَا .

وَالسَّكْرَانُ مَا يَسْمَعُ وَمَا يَشْعُرُ .

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ حَيْثُ لا يَسْمَعُونَ صَوْتَ مُوسٰى .

فَأَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ فَقَالَ :

« يَا قَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتٰعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ » .

وَطَفِقَ الْجُهَّالُ مِنْ قَوْمِهِ يَدْعُونَهُ إِلى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَيَدْعُونَهُ إِلى دِينِ الآبَاءِ .

فَإِذَا قَالَ لَهُمْ تعَالُوا إِلى اللهِ! قَالُوا لَهُ ارْجِعْ إِلى دِينِ الآبَاءِ !

وَلَمَّا بَالَغُوا في الدَّعْوَةِ قَالَ لَهُمْ :

« وَيٰقَوْمِ مَالي أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجٰوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلى النَّارِ » .

« تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ » .

وَقَالَ لَهُمُ الرَّجُلُ الرَّشِيدُ: أَيُّ نَبِيٍّ جَاءَ مِنْ آلِهَتِكُمْ ؟

وَأَيُّ كِتَابٍ نَزَلَ؟ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ ؟
« إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ » .

وَهؤُلاءِ رُسُلُ اللهِ دَعَوْا إِلى اللهِ، ذٰلِكَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَيُوسُفُ وَهٰذَا نَبِيُّ اللهِ مُوسٰى .

وَفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ! وَفي كُلِّ مَكَانٍ لَهُ دَعْوَةٌ !

« لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَني إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ في الدُّنْيا وَلا في الآخِرَةِ » .

وَلمَّا يَئِسَ الرَّجُلُ من هِدايَتِهِمْ وَسَئِمَ الرَّجُلُ مِنْ بَلادَتِهِمْ تَرَكَهُمْ وقالَ لَهُمْ :
« فَسَتَذْكُرونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلىٰ اللهِ إِنَّ اللهَ بَصيرٌ بِالْعِبَادِ » .

وَغَضِبَ النَّاسُ وَأَرَادَ آلُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَلٰكِنَّ اللهَ عَصَمَهُ وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ .

« فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ » .

٣ — زوج فرعون

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ الْأَجْسَامِ .

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى الْأَلْسِنَةِ .

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي مِصْرَ أَنْ يَعْتَقِدَ شَيْئاً أَوْ يُؤْمِنَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

وَكَانَ إِذَا آمَنَ أَحَدٌ بِمُوسٰى فِي أَقْصٰى

مَمْلَكَةِ مِصْرَ جُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ .

وَقَامَ فِرْعَوْنُ وَقَعَدَ، وَبَرَقَ فِرْعَوْنُ وَرَعَدَ .

وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ بِمُوسَىٰ
قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَهُ ؟!

يَعِيشُ فِي مَمْلَكَتِي وَيَعْصِينِي، وَيَأْكُلُ
رِزْقِي وَيَكْفُرُنِي ؟!

أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ رَجُلٍ فِي مِصْرَ مِنْ نَفْسِهِ !

وَيَنْسَىٰ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ يَعِيشُ فِي مَمْلَكَةِ اللهِ
وَيَعْصِيهِ، وَيَأْكُلُ رِزْقَ اللهِ وَيَكْفُرُ بِهِ .

وَأَرَاهُ اللهُ آيَةً فِي بَيْتِهِ، آيَةً فِي أَهْلِهِ .

أَرَاهُ اللهُ أَنَّهُ مَلِكُ الْعُقُولِ كَمَا أَنَّهُ مَلِكُ
الْأَجْسَامِ

وَأَنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى الْقُلُوبِ كَمَا أَنَّ لَهُ

سُلْطَاناً عَلَى الْأَلْسِنَةِ .

وَأَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

دَخَلَ الْإِيمَانُ في بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَهُوَ لا يَشْعُرُ، وَلا يَمْلِكُ شَيْئاً .

وَآمَنَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ بِاللهِ وَكَفَرَتْ بِفِرْعَوْنَ .

وَآمَنَتْ بِمُوسَى عَلَى رَغْمِ زَوْجِهَا مَلِكِ مِصْرَ .

آمَنَتْ بِمُوسَى أَعْلَمُ خَلْقِ اللهِ بِفِرْعَوْنَ وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ .

وَلَمْ يَصْنَعْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ شَيْئاً وَلَمْ يَشْعُرُوا بِذٰلِكَ وَلَهُمْ شَامَّةُ النَّمْلِ وَعُيُون

الْغُرابِ .

وَلَمْ يَشْعُرْ بِذٰلِكَ فِرْعَوْنُ وَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهَا .

وَلَوْ عَلِمَ بِذٰلِكَ فِرْعَوْنُ مَاذَا فَعَلَ ؟ إِنَّهُ يَمْلِكُ الْجِسْمَ وَلٰكِنَّهُ لا يَمْلِكُ الْعَقْلَ .

وَإِنَّ لَهُ سُلْطَاناً عَلَى اللِّسَانِ وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقَلْبِ سُلْطَانٌ .

عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تُطِيعَ زَوْجَهَا وَلٰكِنْ لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَ أَبَوَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ بِهِمَا بَارًّا رَشِيداً وَلٰكِنْ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُطِيعَهُمَا فِي الشِّرْكِ .

«وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

وَاسْتَقَامَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَكَانَتْ تَعْبُدُ اللهَ فِي بَيْتِ عَدُوِّ اللهِ .

وَكَانَتْ تَخَافُ اللهَ وَتَتَبَرَّأُ إِلى اللهِ مِمَّا يَعْمَلُ فِرْعَوْنُ .

وَرَضِيَ اللهُ عَنِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَأَنْجَاهَا اللهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَضَرَبَهَا اللهُ مَثَلاً لِلْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهَا وَشَجَاعَتِهَا .

« وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ

الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ » .

٤ — محنة بني إسرائيل

وَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ عَدَاوَةَ فِرْعَوْنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، تَقَرَّبُوا إِلَى فِرْعَوْنَ بِعَدَاوَتِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ. وَاجْتَرَأَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَطْفَالُ وَهَرَّتْهُمُ الْكِلَابُ .

فَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِحْنَةٌ جَدِيدَةٌ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ .

وَمُوسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَلِّيهِمْ وَيُوصِيهِمْ بِالصَّبْرِ ، وَيَقُولُ لَهُمْ :

« اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

وَسَئِمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هٰذِهِ الْمِحْنَةَ وَهٰذَا الْأَذَى وَقَالُوا لِمُوسٰى :

لَمْ تَنْفَعْنَا شَيْئاً ! لَمْ تُغْنِ عَنَّا شَيْئاً !

« قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا » .

وَلٰكِنَّ مُوسٰى لَمْ يَجْزَعْ! وَلٰكِنَّ مُوسى لَمْ يَيْأَسْ !

« قَالَ عَسٰى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .

« وَقَالَ مُوسٰى يٰقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ » .

« فَقَالُوا عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ✻ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ

الْقَوْمِ الْكٰفِرِينَ » .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَمْنَعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ ، وَيَغْضَبُ إِذَا رَآهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَيُصَلُّونَ لَهُ .

وَكَانَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسَاجِدَ لِلهِ فِي أَرْضِهِ، وَكَانَ يَغْضَبُ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ فِي أَرْضِهِ .

مَا أَجْهَلَ فِرْعَوْنَ! الْأَرْضُ لِلهِ لا لِفِرْعَوْنَ !

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ عِبَادَ اللهِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ عَلٰى أَرْضِ اللهِ ؟!

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَعَا إِلى عِبَادَتِهِ عَلَى أَرْضِ اللهِ ؟!

وَلٰكِنَّ فِرْعَوْنَ مَا كَانَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَ

أحداً يفعَلُ مَا يَشَاءُ في بَيْتِهِ !

فَأَمَرَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى: «اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ»

وَعَجِزَ فِرْعَوْنُ وَعَجِزَت شُرْطَتُهُ أَنْ يَحُولُوا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعِبَادَةِ اللهِ !

وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ؟! وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَعِبَادَةِ اللهِ ؟!

٥ — المجاعات

وَلَمَّا طَغَى فِرْعَوْنُ وَأَسْرَفَ فِي الْغَفْلَةِ وَالْعِنَادِ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ .

إِنَّ اللهَ لا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ! إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ !

وَكَانَ فِرْعَوْنُ بَلِيداً جِدًّا، ضَاعَتْ فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَوْعِظَةُ.

وَالْحِمَارُ لا يَتَنَبَّهُ حَتَّى يُضْرَبَ!

فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُنَبِّهَهُ!

وَمِصْرُ بِلادٌ مُخْصِبَةٌ خَضْرَاءُ، بِلادُ الْخَيْرَاتِ وَالْأَثْمَارِ وَبِلادُ الْحُبُوبِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَيْفَ أَنْجَدَتْ مِصْرُ بِلاداً بَعِيدَةً أَيَّامَ الْمَجَاعَةِ فِي عَهْدِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَكَيْفَ أَنْجَدَتْ مِصْرُ أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ كَنْعَانَ!

وَالنِّيلُ هُوَ الَّذِي يُرْوِي أَرْضَ مِصْرَ وَيَسْقِي زُرُوعَهُمْ.

وَهُوَ مَنْبَعُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مِصْرَ .
وَكَانَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُ مِصْرَ يَظُنُّونَ أَنَّ النِّيلَ هُوَ مِفْتَاحُ الرِّزْق .
وَأَنَّ مِصْرَ غَنِيَّةٌ بِالنِّيلِ عَنِ الْمَطَرِ وعَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ .
وَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .
وَأَنَّ النِّيلَ يَجْرِي بِأَمْرِهِ وَيَفِيضُ بِأَمْرِهِ .
وَأَمَرَ اللهُ النِّيلَ فَغَاضَ مَاؤُهُ وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ .
فَمَاذَا يُرْوِي زُرُوعَ أَهْلَ مِصْرَ ؟ !
نَقَصَتْ ثَمَرَاتُهُمْ وَنَقَصَتْ حُبُوبُهُمْ وَكَانَتْ مَجَاعَةٌ بَعْدَ مَجَاعَةٍ !

وَعجزَ فِرْعَوْنُ وَعجزَ هَامَانُ وَعَجزَتْ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ عَنْ كُلِّ حِيلَةٍ .

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَيْسَ رَبَّهُمْ ، وَأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللهِ !

وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ ، وَلَمْ يَنْفَعْ أَهْلَ مِصْرَ وَلَمْ يُنَبِّهْهُمْ !

وَحَالَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المَوْعِظَةِ وَالعِبْرَةِ .

قَالُوا هٰذِهِ المَجَاعَاتُ وَهٰذِهِ السِّنُونَ مِنْ شُؤْمِ مُوسٰى وَقَوْمِهِ !

يَا لَلْعَجَبِ ! أَلَمْ يَكُنْ مُوسٰى مِنْ قَبْلُ ؟! أَلَمْ يَكُنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ؟!

بَلْ ذٰلِكَ مِنْ شُؤْمِ أَعْمَالِهِمْ !! بَلْ ذٰلِكَ

مِنْ شُؤْمِ كُفْرِهِمْ !

وَعَانَدَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَقَالُوا إِنَّا لا نَخْضَعُ لِهٰذَا السِّحْرِ .

« وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ » .

٦ — خمس آيات

وَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى .

أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْطَارَ ، فَفَاضَ النِّيلُ .

وَأَمْطَرَتِ السَّماءُ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ .

حَتَّى غَرِقَتِ الزُّرُوعُ وَالْحُقُولُ ، وَتَلِفَتِ الْحُبُوبُ وَالثِّمَارُ .

وَعَادَ المَطَرُ عَلَيْهِمْ وَبَالاً .

وَبَيْنَما هُمْ يَشْكُونَ قِلَّةَ المَاءِ إِذَا هُمْ يَشْكُونَ كَثْرَةَ المِيَاهِ .

ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ الجَرَادَ يَأْكُلُ الزُّرُوعَ وَالْحُقُولَ وَيَقَعُ عَلَى الأَشْجَارِ فَلا يَذَرُ مِنْهَا شَيْئاً .

وَعَجَزَتْ جُنُودُ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتُهُ عَنْ قِتَالِ جُنْدِ اللهِ .

وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ وَلا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ وَلا تَعْمَلُ فِيهِ السِّهَامُ .

هُنَالِكَ عَلِمَ أَهْلُ مِصْرَ ضَعْفَ فِرْعَوْنَ، وَعَجْزَ هَامَانَ، وَقِلَّةَ حِيلَةِ الشُّرْطَةِ .

وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَبِرُوا ! وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَتَنَبَّهُوا !

فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ جُنْداً آخَرَ، ذٰلِكَ هُوَ

الْقُمَّلُ .

وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلُ، فَالْعِياذُ باللهِ !

الْقُمَّلُ فِي الْفِرَاشِ، وَالْقُمَّلُ فِي الثِّيَابِ.

وَالْقُمَّلُ فِي الرَّأْسِ، وَالْقُمَّلُ في الشَّعْرِ .

فَطَارَ نَوْمُهُمْ وَبَاتُوا يَقْصَعُونَ[1] الْقُمَّلَ وَيَسُبُّونَهُ، حَتَّى يُصْبِحُوا .

وَكَيْفَ يُقَاتِلُونَهُ وَالْقُمَّلُ لَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ وَلَا تَعْمَلُ فِيهِ السِّهامُ، وَلا يُنْجِدُهُمْ في ذٰلِكَ جُنُودُهُمْ وَشُرْطَتُهُمْ .

ثُمَّ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمُ الضَّفَادِعَ، فَفِي الطَّعَامِ ضَفَادِعُ، وَفِي الشَّرَابِ ضَفَادِعُ، وَبَيْنَ مَلَابِسِهِمْ ضَفَادِعُ .

---

(١) قصع القملة بظفره : قتلها .

وَسَئِمُوا هٰذِهِ الضَّفادِعَ وَتَنَغَّصَ عَيْشُهُمْ .
وَانْتَشَرَتِ الضَّفَادِعُ وَفَشَتْ في جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْبَيْتِ .
تِلْكَ تَنِقُّ(٢) وَهٰذِهِ تَثِبُ هُنَا وَتِلْكَ تَقْفِزُ هُنَاكَ .
وَلا يَقْتُلُونَ وَاحِدَةً إلاَّ وَتَأْتِي عَشْرٌ وَلا يُخْرِجُونَ وَاحِدَةً إلاَّ وَتَظْهَرُ خَمْسٌ كَأَنَّهَا تُولَدُ في الْبَيْتِ .
عَجِزَتِ الْحُرَّاسُ وَعَجِزَتِ الشُّرْطَةُ عَنِ الضَّفَادِعِ .
وَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ آيَةً خَامِسَةً ، ذٰلِكَ هُوَ الدَّمُ .

(٢) تصوت

فَسَالَ الرُّعَافُ مِنْ آنافِهِمْ وَضَعُفُوا وَتَعِبُوا جِدًّا .

وَعَجِزَ الْأَطِبَّاءُ عَنِ الْعِلَاجِ وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ دَوَاءٌ .

وَكُلَّمَا رَأَوْا آيَةً قَالُوا لِمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا الْبَلَاءَ وَنَتُوبَ وَنُؤْمِنَ وَنُرْسِلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَلَمَّا كَشَفَ اللهُ عَنْهُمُ الْبَلَاءَ نَكَثُوا عَهْدَهُمْ .

« فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ » .

٧ — الخروج

وَضَاقَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضُ مِصْرَ وَهِيَ وَاسِعَةٌ

وَمَا يَصْنَعُونَ بِخِصْبِ مِصْرَ وَخَيْرَاتِهَا وَهُمْ فِي سِجْنٍ يَذُوقُونَ كُلَّ يَوْمٍ صُنُوفاً مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ ؟!

إِلَى مَتى يَصْبِرُونَ، أَلَيْسُوا بَنِي آدَمَ يَشْعُرُونَ بِالْأَذَى وَالْأَلَمِ ؟!

وَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى أَنْ يَسْرِيَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا وَيَخْرُجَ بِهِمْ مِنْ مِصْرَ .

وَأَحَسَّ بِذَلِكَ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ وَأَخْبَرُوا بِذَلِكَ فِرْعَوْنَ .

سَارَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي اللَّيْلِ نَحْوَ

الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ سِبْطاً كُلُّ سِبْط عَلَيْهِ أَمِيرٌ .

وَالطَّرِيقُ إِلَى الشَّامِ طَرِيقٌ وَاضِحٌ مَعْلُومٌ، بَرٌّ يَصِلُ بَيْنَ الْبَرَّيْنِ وَقَدْ جَازَهُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ(١) .

وَلٰكِنَّ مُوسَى أَرَادَ أَمْراً وَأَرَادَ اللهُ أَمْراً وَكَانَ مَا أَرَادَهُ اللهُ .

أَخْطَأَ مُوسَى الطَّرِيقَ، وَحَيْثُ أَخْطَأَ مُوسَى أَصَابَ الْقَدَرُ .

ظَنَّ مُوسَى أَنَّهُ يَسِيرُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى جَانِبِ الشِّمَالِ .

فَإِذَا بِهِمْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ إِلَى جَانِبِ

(١) مرة ذهاباً إلى مدين ، ومرة إياباً إلى مصر .

الشَّرْقِ(١) .

وَإِذَا بِهِمْ أَمَامَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ .

يَا حَافِظُ ! يَا سَاتِرُ ! أَيْنَ نَحْنُ ؟

كَانَ الْجَوَابُ إِنَّنَا أَمَامَ الْبَحْرِ !

وَالْتَفَتُوا إِلَى الْوَرَاءِ فَإِذَا بِغُبَارٍ سَاطِعٍ !

وَإِذَا بِجُنْدٍ عَظِيمٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ!

هُنَالِكَ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ .

يَا ابْنَ عِمْرَانَ! مَاذَا أَنْكَرْتَ مِنَّا حَتَّى دَبَّرْتَ قَتْلَنَا !

وَجِئْتَ بِنَا إِلَى شَطِّ الْبَحْرِ لِيَقْتُلَنَا فِرْعَوْنُ قَتْلَ الْفِيرَانِ حَيْثُ لا فِرَارَ وَلَا نَجَاةَ .

(١) يحسن بالمعلم أن يستلفت الطلبة إلى خارطة مصر .

لَا نَذْكُرُ إِلَيْكَ سُوءًا فَلِمَاذَا هٰذَا الِانْتِقَامُ ؟!
أَلَمْ يَكْفِكَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ
لِأَجْلِكَ حَتَّى جِئْتَ بِنَا إِلَى هُنَا ؟! .

هَا هُوَ الْبَحْرُ أَمَامَنَا، وَهَا هُوَ الْعَدُوُّ
وَرَاءَنَا، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الْمَوْتُ !
هُنَالِكَ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي عُيُونِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَاسْتَوْلَى الْيَأْسُ
ثُمَّ خَفَتَتِ الْأَصْوَاتُ .
هُنَالِكَ تَزَلْزَلَ كُلُّ أَحَدٍ، وَحُقَّ لِلْجِبَالِ
الرَّاسِيَاتِ أَنْ تَتَزَلْزَلَ .
وَلٰكِنَّ إِيمَانَ مُوسَى بِرَبِّهِ لَمْ يَتَزَلْزَلْ وَسَمِعَ
النَّاسُ صَوْتًا فِيهِ جَلَالُ النُّبُوَّةِ .
« كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ » .

وَأَمَرَ اللهُ مُوسىٰ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَحْرَ . فَضَرَبَ فَانْفَلَقَ الْبَحْرُ وَقَامَ الْمَاءُ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ كَالْجَبَلِ .

وَإِذَا اثْنَا عَشَرَ طَرِيقاً لاثْنَي عَشَرَ سِبْطاً لِكُلِّ سِبْطٍ طَرِيقٌ .

وَسَارَ الْقَوْمُ آمِنِينَ وَوَصَلُوا إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلامِ .

٨ – غرق فرعون

وَرَأَى فِرْعَوْنُ كَيْفَ سَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَبَرُوا الْبَحْرَ آمِنِينَ .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِجُنُودِهِ أُنْظُرُوا إِلَى الْبَحْرِ كَيْفَ انْفَلَقَ طَوْعاً لِأَمْرِي حَتَّى آخُذَ هٰؤُلاءِ

الْفَارِّينَ .

وَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ. فجزِع بَنُو إِسْرَائِيلَ مَرَّةً أُخْرَى .

هَا هُوَ الْعَدُوُّ هَا هُوَ الظَّالِمُ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ الطَّرِيقَ إِلَيْنَا .

وَلا يَمْنَعُهُ مِنَّا شَيْءٌ، وَسَيَلْحَقُنَا ويَأْخُذُنَا إِلى مِصْرَ مَأْسُورِينَ أَذِلَّاءَ أَوْ يَقْتُلُنَا في هٰذِهِ الْبَرِّيَّةِ غُرباءَ .

وَأَرَادَ مُوسىٰ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْبَرَّ فَيَعُودُ بَحْراً كَمَا كَانَ وَلٰكِنْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أُتْرُكِ الْبَحْرَ سَاكِناً « إِنَّهُم جُنْدٌ مُغْرَقُونَ » .

وَلَمَّا وَصَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ إِلى عرْضِ الْبَحْرِ (وَهُوَ بَرٌّ) انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ .

وَلمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ الجِدَّ زَالَتْ سَكْرَتُهُ .

« حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ « لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ » .

وَ « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيٰتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرَاً » .

فَقِيلَ لَهُ « ءَآلْئٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وَمَاتَ فِرْعَوْنُ فِي الْبَحْرِ غَرَقاً .

مَاتَ الْجَبَّارُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفاً مِنَ الأَطْفَالِ وَالرِّجَالِ ذَبْحاً وَخَنْقاً .

مَاتَ الطَّاغِيَةُ الَّذِي قَتَلَ أُلُوفَ آلافٍ صَبْراً وَشَنْقاً .

مَاتَ مَلِكُ مِصْرَ بَعِيداً عَنْ عَرْشِهِ بَعِيداً عَنْ قَصْرِهِ، بَعِيداً عَنْ سُلْطَانِهِ لا طَبِيبٌ يُدَاوِيهِ وَلا صَدِيقٌ يُوَاسِيهِ، وَلا عَيْنٌ تَبْكِيهِ .

وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي شَكٍّ عَنْ مَوْتِهِ يَقُولُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لا يَمُوتُ .

أَمَا كُنَّا نَرَاهُ يَقْضِي أَيَّاماً وَلا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ ؟!

وَقَذَفَ الْبَحْرُ جُثَّتَهُ فَأَيْقَنُوا بِمَوْتِهِ .

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِفِرْعَوْنَ « فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً » وَكَانَتْ جُثَّةُ فِرْعَوْنَ آيَةً لِلنَّاظِرِينَ وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَغَرِقَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ عَنْ آخِرِهِ وَمَا نَجَا مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَخَلَّفُوا مِصْرَ وَرَاءَهُمْ وَلَمْ يَجِدُوا فِي أَرْضِهَا الْوَاسِعَةِ ذِرَاعاً لِمَدْفَنٍ .

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّٰتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فٰكِهِينَ، كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنٰهَا قَوْماً آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » .

٩ — في البرية !

وَصَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ

وَتَنَفَّسُوا في هَوَائِهِ كالْأَحْرَارِ الأَشْرَافِ .

هُنَالِكَ لا يَخَافُونَ فِرْعَوْنَ وَلا يَخَافُونَ هَامَانَ وَلا يَخَافُونَ شُرْطَتَهُ .

هُنَالِكَ يَمْشُونَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لا يَخْشَوْنَ أَحداً إلاَّ اللهَ .

وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْحَضَرِ وَكَانَتِ الشَّمْسُ تُؤْذِيهِمْ في الْبَرِّيَّةِ .

وَكَانُوا ضُيُوفَ اللهِ! أَلَمْ تَـرَ إِلى المُلُوكِ كَيْفَ يُكْرِمُونَ ضُيُوفَهُمْ ؟!

وَكَيْفَ يَضْرِبُونَ لَهُمُ الْخِيَامَ تَقِيهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ ؟!

إِنَّ كَرَامَةَ اللهِ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ !

وَأَمَرَ اللهُ الْغَمامَ أَنْ يُظِلَّهُمْ، فَكَانُوا

يَمْشُونَ في ظِلِّ الْغَمامِ ، وَكَانَ الْغَمامُ يَسِيرُ مَعَهُمْ حَيْثُ سارُوا وَيَقِفُ أَيْنَما وَقَفُوا .

وَعَطِشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلا مَاءَ في الْبَرِّيَّةِ ، وَلا نَهْرَ وَلا بِئْرَ .

ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى ، يَشْكُونَ إِلَيْهِ الْعَطَش كَمَا يَشْكُو الطِّفْلُ إِلى أُمِّهِ وَيَسْتَغِيثُهَا .

وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُهُ ؟!

فَقَالَ « اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ » .

« فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ » .

وَجَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَشَكَوا إِلى مُوسَى الْجُوعَ كَمَا يَشْكُو الطِّفْلُ إِلى أُمِّهِ وَيَسْتَغِيثُهَا .

وَقَالُوا إِنَّكَ أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ أَرْضِ

الْفَوَاكِهِ وَالثَّمَرَاتِ وَأَرْضِ الْخَيْرَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ فَمَنْ لَنَا بِطَعَامٍ فِي هٰذِهِ الْبَرِّيَّةِ ؟

دَعَا مُوسَى رَبَّهُ ! وَمَنْ لَهُ غَيْرُه؟! فَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ .

أَنْزَلَ لَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ مِثْلَ الْحَلْوَى، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ طَيْراً يَأْخُذُونَهُ مِنَ الْأَشْجَارِ بِسُهُولَةٍ .

ذٰلِكَ هُوَ الْمَنُّ وَالسَّلْوَى، ضِيَافَةُ اللهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ .

١٠ — كفران بني إسرائيل

وَلٰكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَفْسَدَ ذَوْقَهُمْ وَخُلُقَهُمْ الْعُبُودِيَّةُ الطَّوِيلَةُ .

وَكَانُوا لا يَقِرُّونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانُوا لا يَسْكُنُونَ إلى شَيْءٍ وَكَانُوا في طِبَاعِهِمْ أَطْفَالاً .

وَكَانُوا قَلِيلِي التَّشَكُّرِ كَثِيرِي التَّشَكِّي سَرِيعِي السَّآمَةِ يُحِبُّونَ مَا مُنِعُوا وَيَكْرَهُونَ مَا أُعْطُوا .

وَلَمْ يَلْبَثُوا قَلِيلاً أَنْ قَالُوا لِمُوسَى قَدْ سَئِمْنَا هٰذَا الطَّعَامَ الْوَاحِدَ، وَقَدْ سَئِمْنَا هٰذَا اللَّحْمَ وَهٰذِهِ الْحَلْوَى .

وَقَدِ اشْتَهَيْنَا الْخُضَرَ وَالْبُقُولَ .

« يٰمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا » .

تَعَجَّبَ مُوسَى مِنْ هٰذَا السُّؤَالِ الْغَرِيبِ

وَقَالَ بِصَوْتٍ فِيهِ الْإِنْكَارُ وَفِيهِ الْاسْتِعْجَابُ وَفِيهِ الْعِتَابُ .

« أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » ؟!

أَبُقُولاً وَخُضَرَ مَكَانَ طُيُورٍ وَحَلْوَىٰ لَمْ تَمَسَّهَا يَدُ إِنْسَانٍ ؟!

أَطَعَامَ الْفَلَّاحِينَ بَدَلَ طَعَامِ الْمُلُوكِ ؟

يَا لَفَسَادِ الذَّوْقِ ! يَا لَسُوءِ الْاخْتِيَارِ !

وَلٰكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ سُؤَالِهِمْ ، وَلَمْ يَزَالُوا يَطْلُبُونَ الْخُضَرَ وَالْبُقُولَ .

فَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ مَا سَأَلْتُمْ يُوجَدُ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَمِصْرٍ .

« إِهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ » .

١١ - عناد بني إسرائيل

وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي طِبَاعِهِمْ أَطْفَالاً، وَأَطْفَالاً مُعَانِدِينَ

وَكُلَّمَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ يُخَالِفُونَهُ إِلَى ضِدِّهِ وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ.

كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُبَدِّلُوا مَا يُقَالُ لَهُمْ.

كَطِفْلٍ عَنِيدٍ يُقَالُ لَهُ قُمْ فَيَجْلِسُ وَيُقَالُ لَهُ اِجْلِسْ فَيَقُومُ. وَيُقَالُ لَهُ اسْكُتْ فَيَتَكَلَّمُ وَيُقَالُ لَهُ تَكَلَّمْ فَيَسْكُتُ.

وَكَانَ فِيهِمْ عِنَادُ الْأَطْفَالِ فِي خُبْثِ الْأَشْرَارِ فِي هُزْءِ الْأَعْدَاءِ فِي سَفَاهَةِ الْمَجَانِينِ.

كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْكُنُوا قَرْيَةً وَيَأْكُلُوا

طَعَامَهُمْ الشَّهِيَّ مِنَ الْخُضَرِ وَالْبُقُول .

وَلٰكِنَّهُمْ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ « اسْكُنُوا هٰـذِهِ الْقَرْيَةِ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰيكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ » .

غَضِبُوا مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ الإِلٰهِيّ، وَدَخَلُوا الْقَرْيَةَ كُرْهاً وَهُزُواً يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ .

« فَبَـدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ » .

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ بَلاءً وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ وَبَاءً مَاتُوا مِنْهُ مَوْتَ الْفِيرَان .

وَإِذَا أُمِرُوا بِأَمْرٍ أَكْثَرُوا السُّؤَالَ وَالتَّنْقِيرَ .

شَأْنَ رَجُلٍ لا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ فَيُكْثِرُ

السُّؤَالَ وَالتَّنْقِيرَ .

حَدَثَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ حَادِثُ قَتْلٍ، فَأَهَمَّ ذٰلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلى الْقَاتِلِ ، وَكَانَ السُّؤَالُ عَنِ الْقَاتِلِ حَدِيثَ النَّاسِ .

جَاءُوا إِلى مُوسٰى – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – وَقَالُوا أَعِنَّا يَا نَبِيَّ اللهِ فِي هٰذِهِ الْقَضِيَّةِ وَادْعُ اللهَ يُبَيِّنْ لَنَا الْقَاتِلَ .

١٢ – البقرة

وَدَعَا مُوسٰى رَبَّهُ فَأَوْحٰى إِلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ .

هُنَالِكَ حَلَّتِ الْمُصِيبَةُ، وَبَدَأَ بَنُو إِسْرَائِيلَ

يَسْأَلُونَ وَيَسْخَرُونَ .

«وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» .

« قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً » .

« قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ » .

وَهُنَا أَرْسَلُوا الْأَسْئِلَةَ .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ » ؟

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَينَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ » .

وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى هٰذَا السُّؤَالِ، بَلْ بَدَأُوا يَسْأَلُونَ عَنْ لَوْنِهَا .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا » .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ »

وَلَمْ يَجِدُوا سُؤَالاً فَأَطْلَقُوا السُّؤَالَ .

« قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ » .

« قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا » .

وَوُفِّقُوا فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ لأَنَّهُمْ قَالُوا « وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ » فَاهْتَدَوْا .

وَلٰكِنَّ أَسْئِلَتَهُمْ ضَيَّقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ، فَلَوْ ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ لَكَانَتْ كَافِيَةً، وَلٰكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ .

وَفَتَّشُوا عَنِ الْبَقَرَةِ الْعَوَانِ الصَّفْرَاءِ الْفَاقِعِ لَوْنُهَا الَّتِي لا تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ

الْمَسَلَّمَةِ الَّتِي لا شِيَةَ فِيهَا .

وَنَدَرَ وُجُودُ هٰذِهِ الْبَقَرَةِ الْغَرِيبَةِ فَإِمَّا بَقَرَةٌ فَارِضٌ وَإِمَّا بَقَرَةٌ بِكْرٌ .

وَإِمَّا عَوَانٌ وَلٰكِنْ غَيْرُ صَفْرَاءَ .

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ وَلٰكِنْ لَوْنُهَا غَيْرُ فَاقِعٍ .

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا وَلٰكِنَّهَا بَقَرَةٌ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ .

وَإِمَّا بَقَرَةٌ عَوَانٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا لا تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلٰكِنَّهَا تَسْقِي الْحَرْثَ .

وَفَتَّشُوا وَفَتَّشُوا وَعَلِمُوا عَاقِبَةَ هٰذَا التَّنْقِيرِ ، مَا هِيَ ؟ مَا لَوْنُهَا ؟ مَا هِيَ ! وَتَعِبُوا .

وَأَرَادَ اللهُ بِيَتِيمٍ خَيْراً فَوَجَدُوا هٰذِهِ الْبَقَرَةَ

الَّتي وَصَفَهَا اللهُ عِنْدَهُ فَـاشْتَرَوْهَا بِثَمَنٍ غَالٍ جِداً « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » .

وَأَمَرَ اللهُ أَنْ يُضْرَبَ الْمَقْتُولُ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَقَرَةِ فَيَحْيَا وَيُخْبِرَ بِاسْمِ الْقَاتِلِ .

وَهٰكَذَا كَانَ ....

١٣ – الشريعة

وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ عَيْشِ الْبَهَائِمِ إِلَى عَيْشِ النَّاسِ .

وَصَارُوا يَعِيشُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَالْأَحْرَارِ الْأَشْرَافِ .

هُنَالِكَ احْتَاجُوا إِلَى شَرِيعَةٍ إِلٰهِيَّةٍ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَتُنِيرُ لَهُمُ السَّبِيلَ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ كَإِنسَانٍ إِلاَّ بِشَرِيعَةٍ إِلٰهِيَّةٍ، وَإِلاَّ بِنُورٍ مِنْ رَبِّهِ .

الْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلامٌ فِي ظَلامٍ إِلاَّ مَنْ أَشْرَقَ لَـهُ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ .

وَذٰلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ .

وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهٰذَا النُورِ كَانَ فِي ضَلالٍ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ

فَالْعَقَائِدُ – بِغَيْرِ هٰذَا النُّورِ – أَوْهَامٌ وَخُرَافَاتٌ يَضْحَكُ مِنْهَا الْأَطْفَالُ .

أَمَا سَمِعْتُمْ عَقَائِدَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَخُرَافَاتِهِمْ وَأَسَاطِيرَهُمْ ؟!

وَالْعِلْمُ جَهْلٌ وَظَنٌّ وَتَخْمِينٌ وَشَكٌّ « إِنْ

يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً » .

وَالْأَخْلَاقُ تَفْرِيطٌ وَإِفْرَاطٌ وَتَقْصِيرٌ وإِسْرَافٌ أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ لا يَتَّبِعُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَيْفَ يَهْضِمُونَ الْحُقُوقَ وَكَيْفَ يُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ وَكَيْفَ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى ؟!

وَالْحُكْمُ وَالسِّيَاسَةُ ظُلْمٌ وَاسْتِبْدَادٌ وَخَبْطٌ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ وَدِمَائِهِمْ .

أَمَا رَأَيْتُمْ أُولِي الْأَمْرِ - مِمَّنْ لَا يَخَافُونَ اللهَ وَلا يَتَّبِعُونَ الشَّرِيعَةَ - كَيْفَ يَخُونُونَ الْأَمَانَاتِ وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ بِأَمْوَالِ اللهِ. وَكَيْفَ يَعْبَثُونَ بِدِمَاءِ النَّاسِ وَحُقُوقِهِمْ ؟!

وَكَيْفَ اسْتَعْبَدُوا النَّاسَ وَجَعَلُوهُمْ شِيَعاً

يَذْبَحُونَ رِجَالَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، أَتَعْلَمُ كَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الْأُولَى وَكَمْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ الثَّانِيَةِ[١] ؟!

فَالْعَالَمُ كُلُّهُ ظَلَامٌ فِي ظَلَامٍ فِي ظَلَامٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ لَهُ نُورٌ مِنْ رَبِّهِ.

«ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ».

وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللهَ،

---

(١) للمعلم : عدد المصابين في الحرب الأولى الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) على ما حققه الانكليزي السياسي الخبير أي - اليس تاونسند أكثر من سبعة وثلاثين مليوناً ٣٧٥١٣٨٨٦ رجلاً ، المقتولون منهم ٨٥٤٣٥١٥ نسمة ، وقدر النائب البريطاني المستر ميكستن أن عدد المصابين في الحرب الثانية الكبرى لا يقل عن خمسين مليوناً .

وَكَذٰلِكَ يُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ يُعَامِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً .

وَالنَّبِيُّ يُعَلِّمُ النَّاسَ آدَابَ الْحَيَاةِ مَعَ آدَابِ الدِّينِ، وَيُعَلِّمُهُمْ آدَابَ الْأَكْلِ وَأَدَبِ الشُّرْبِ وَأَدَبَ النَّوْمِ وَأَدَبَ الْمَجْلِسِ وَأَدَبَ كُلِّ شَيْءٍ .

وَيُعَلِّمُهُمُ الآدَابَ كَمَا يُعَلِّمُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ أَبْنَاءَهُ الْأَعِزَّةَ .

وَالنَّاسُ كَالْأَطْفَالِ الصِّغَارِ يَحْتَاجُونَ فِي كِبَرِهِمْ إِلى تَرْبِيَةِ الأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ فِي صِغَرِهِمْ إِلى تَرْبِيَةِ الآبَاءِ .

وَالَّذِينَ لَمْ يَتَلَقَّوْا هٰذِهِ التَّرْبِيَةَ النَّبَوِيَّةَ وَلَمْ يَتَعَلَّمُوا الآدَابَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَأَشْجَارِ الْبَرِّيَّةِ، نَبَتَتْ وَنَشَأَتْ بِنَفْسِهَا فَيُرَى فِيهَا عِوَجاً وَشَوْكاً وَفَسَاداً .